

تأصيل المناهج الدعوية في ضوء

الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح

ألقاها بتاريخ ٠٧-٠٤-١٤٣٠هـ

معالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

مع تعليق معالي مفتي الملكة العربية السعودية سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

حفظه الله تعالى

أَعَدَّ هَذِهِ الْمَادَّةَ
سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَزَائِرِي

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[شريط مفرغة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله رسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثيراً إلى يوم الدين.
أما بعد..

فيا أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
وإنها لساعة رجاء أن تتزّل علينا فيها الرّحمات، وأن تحفّنا فيها الملائكة، وأن يذكرنا الله بها فيمن عنده؛ أن سعيها لسماع كلام الله وكلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والتفقه فيهما، ومعرفة ما كان عليه السّابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، في زمن تلاطمت فيهم الفتن واختلط فيه الليل بالنهار، واشتبه عليه كثير من الناس الطريق...
.. سماحة الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد الطيف آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، يحضر وينصت ثم يعقّب مصوّباً للمحاضرين، ومرشداً لهم، ومبيّناً للحاضرين ما يتعلّق بموضوع محاضرات الأسبوع.
موضوع هذه المحاضرة:

تأصيل المنهج الدعوي في ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح

وسبب اختيار هذا الموضوع من اختاروه وكلّفني سماحة الشيخ بإلقائه، أنّ الدعوة لاشك هي سمة هذه الأمة وسمة أتباع النبي محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥].

الدعوة هي السبيل وهي النهج وهي الطريق الذي لا بد لنا منه، وهي عبادة عظيمة من العبادات التي يُتقرب بها إلى الله -عز وجل-، عبادة متعددة النفع؛ نفعها لا يقتصر على صاحبها؛ بل يتعدى نفعه إلى المدعو؛ يتعدى صاحب الدعوة بالدعوة إلى الناس في بلده أو خارج بلده أو من تأثر بدعوته إلى قيام الساعة.

ولذلك كان الدعاة على صنفين:

الصنف الأول: ومن يدعو على وفق الأمر الأول وفق السنة مع الأخذ بما جد في العصر من اجتهادات لا تخرج عن إطار التزام السنة والجماعة وطرائق السلف الصالح.

والصنف الثاني أراد أن يدعو؛ لكن هذه الدعوة كانت على وفق الأهواء والاجتهادات؛ دون رجوع من العلم إلى ركن وثيق، فتعددت الأهواء وتعددت المشارب، فصارت الدعوة بدل أن تكون منهاجا واحدا، صارت مناهج شتى، وطرائق مختلفة وكل يدعي صوابه فيما يأتي وفيما يذر. ولا شك أن العناية بالتأصيل فيه عصمة للعقل وللقلب من الوقوع في الغلط، لهذا جاء هذا العنوان: (تأصيل المنهج الدعوي على ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح).

المنهج هو الطريق، ذكره الله - جل وعلا - في كتابه بقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، المنهاج والمنهج والنهج هو الطريق الواضح الذي لا التباس فيه. سلك نهجا واضحا؛ يعني: طريقا متأكدا منه، واضحا لا التباس فيه.

والدعوة لا شك أنه أسلوب يحتاج إلى طريق، هذا مما جعل القرآن فيه آيات كثيرة تبين هذا المنهاج وهذا المنهج؛ لأن الشرائع مختلفة، والمناهج مختلفة؛ ولكن عقائد الأنبياء واحدة. وهذا الذي يوصلنا إلى أن المنهاج الدعوية قد لا تكون على وفق كتاب وسنة وطريقة مأمونة مما أخذها أهل العلم عن السلف الصالح؛ بل يكون فيها ضرب من النظر في المصالح والمفاسد بحسب توهم أصحابها، النظر في أحداث خاصة: إما إقليمية أو حزبية أو سياسية أو فتوية أو جماعية.. إلى آخره.

لكن الدعوة لا تكون دعوة على منهاج صالح إلا إذا ارتفعت عن الأغراض الدنيوية وصارت لله - جل وعلا -، لهذا أجر الداعية ليس على البشر، أجر الداعية على الله ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦) **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** (٨٧) **وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** (٨٨) [ص: ٨٦-٨٨]، فالداعية لا يأخذ على دعوته أجرا لأنه على سبيل محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، لا يأخذ أجرا من الخلق لأنه إذا أخذ أجرا دنيويا من الخلق فإنه ربما سلك ما يريدون أو يستحسنونه أو تقول إليه أهواؤهم دون نظرٍ إلى أمر آخر، هذا واقع؛ فإن الإنسان إذا أخذ عوض دعوته فإنه ربما وقع في انحراف من جهة أن يقول على وفق ما أراد من يعطيه أجرا في ذلك. فأجر الداعية على الله - جل وعلا - ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]، هذا حصر

وهذا يقتضي الإخلاص، فإنه كلما كان قلب الداعية معلقاً بالله - جل وعلا - كان منهجه في دعوته مؤصلاً على وفق طريقة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

وهل أعظم من الأجر أن يقال لمحمد - عليه الصلاة والسلام -: إن أردت ملكاً مكلناً وإن أردت امرأة حسنة زوجاً، فقال: **«والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر لا أتركه أو أموت دونه»** ^(١) عليه الصلاة والسلام.

لهذا كان من المهمات أن يكون الاقتداء في الدعوة قبل معرفة الطريق أن يكون الداعية متخلصاً من طلب الدنيا، وكلما كان أقرب إلى الدنيا كلما فاتته من الصواب في دعوته بقدره، وإذا كُمل له أن يكون مراده بالدعوة الإسلامية إلى الله أن يكون مراده الدنيا؛ إما جاه أو منصباً أو مالا يعطاه أو انتصار حزب أو انتصار فئة على فئة، أو تمكن سياسي.. أو نحو لك؛ فإنه يقع في هذه الدعوة الانحراف ولا يصل الحق إلى الناس.

الدعوة إلى الله - عز وجل - ليست عملاً عادياً هي من أفضل العبادات؛ بل عدها جمع من أهل العلم أفضل العبادات؛ لأنها مشتملة على أنواع الأفضلية:

أما نوع من الجهاد في سبيل الله لقوله تعالى: **﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾** يعني بالقرآن **﴿جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)﴾** [الفرقان: ٥٢] والجهاد بالقرآن يعني بالدعوة إلى الله بالقرآن والسنة؛ التي هي بيان للقرآن.

ومن أوجه التفضيل أن الدعوة إلى الله صارت أفضل العبادات لأنها متعددة النفع، -أما العبادات المقصود بها العبادات التطوعية- أما غيرها فيكون قاصر النفع، إذا كان يقوم في ليله أو يكثّر من تلاوة القرآن هذا نفعه على نفسه؛ لكنه إن كان يعلم الآخرين القرآن ويعلمهم السنة، يدعوهم ويحببهم، يجب الله إليهم ويقربهم إلى الله، فإن هذا النفع متعدّد. ولهذا قال ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر: وجدت أن التأليف أنفع من التدريس، وذلك أن المعلم يحضر له عدد من الناس -من الطلاب أربعين، خمسين، مائة-، ثم إذا مات انتهى هذا العدد بقدر من علمه ثم هم يعلمون وهكذا. ولكن المؤلف والمصنف في التصانيف النافعة التي تفيد الأمة فإنه لا ينفك جيل من الناس من أن ينتفع منها عدد كبير، فصار من هذه الجهة -من جهة تعدي النفع- أفضل، كما ذكره رحمه الله.

^(١) أخرجه ابن هشام في المغازي أنظر السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني برقم (٩٠٩)، وله أسانيد أخرى حسنة ولكن بلفظ آخر.

لهذا نقول: فإن الدعوة مأمور بها قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال أيضا: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال أيضا جل جلاله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥]، والآيات في ذلك كثيرة، وفي الصحيح أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»^(١) يعني الإبل الحمراء غالية الثمن، وفي الصحيح أيضا قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»^(٢) والعلماء تتابعوا على ذكر فضيلة الدعوة.

والدعوة إلى الله اسم عام يشمل كل وسيلة من وسائل إبلاغ الدين الحق إلى الناس، سواء كان ذلك بالتعليم، أو كان بالتأليف، أو كان بالتدريس، أو كان بالذهاب إلى القرى والبوادي، أو بإلقاء المحاضرات، أو بالمشاركة في وسائل الإعلام، أو بأي نوع من ذلك، فكل وسيلة فيها إبلاغ للدين الحق للناس فهي دعوة إلى الله تعالى.

والدعوة إلى الله كلٌ يدعيها، مناهجها شتى والمنتسبون إلى الدعوى طرائقهم شتى، ولكن: هذه الطريقة وهذه المناهج قد تكون بعيدة تماما عن الكتاب والسنة وطرق سلف الأمة؛ كوسائل دعوة غلاة الصوفية والمريدين والأحزاب السياسية البحتة التي استخدمت الدين وسيلة لدعوة الناس إلى مفاهيم سياسية ليس فيها تعبد لله وليس فيها إيضاح الدين الحق لله وأشباه ذلك، فإن هذا متعدّد يبعد أصحاب الدعوة ويقربون.

ولذلك كان من المجاهدة المهمة أن يحرص المسلم الداعية على أن يكون في دعوته على وفق كتاب الله وسنة رسوله وفهم السلف الصالح.

لماذا فهم السلف الصالح؟ لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إلى الإسلام والنبوة...، حديث رقم (٢٩٤٢).

مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (٢٤٠٦).

(٢) مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث رقم (٢٦٧٤).

الأنهار [التوبة: ١٠٠]، وهذا جعل الذين اتبعوا الصحابة باحسان جعلهم مشمولين بالفضل نفسه، ذكر السابقين الأولين المهاجرين والأنصار، **وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ** يدخل فيهم الصحابة الذين تلوا السابقين ويدخل فيه من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة.

وهذا لأجله قال أهل العلم: السلف الصالح، السلف الصالح من هم؟ (السلف) يعني من سلفنا، (الصالح) الذين شهد لهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالصلاح، والذين شهد لهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالصلاح هم القرون الثلاثة المفضلة الذين قال فيهم: **«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»** ^(١) فذكر قرنين أو ذكر ثلاثة قرون.

وهذا يعني شدة الاستمسك لما كان عليه أولئك، فإذا رأينا ما كان عليه أولئك فإننا نجد أن المنهج الدعوي المتصل بالسلف الصالح -رضوان الله عليهم- ومن مشى على هذا المنهج من أئمة أهل العلم وأئمة الاجتهاد كسادات التابعين وتبع التابعين والأئمة الأربعة ومجتهدي أهل الإسلام وعلماء الإسلام إلى وقتنا الحاضر وجدنا أنهم، وإن تباعدوا في بعض المسائل قليلاً؛ لكنهم يشتركون في سمات وفي صفات هذه السمات والصفات هي سمات منهاج الدعوة على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح:

فأول هذه السمات معرفة أن الدعوة إنما هي لله.

يعني الإخلاص لله في الدعوة، وأن الدعوة لله ليست لأحد؛ ليست لشيخ ولا للنفس ولا لقبيلة ولا لبلد ولا لمذهب ولا لطائفة ولا لجماعة ولا لحزب، إنما هي تقريب الخلق إلى الله -جل وعلا-، وجعل الخلق يحبون الله -سبحانه- ويعبدونه وحده لا شريك له على سنة نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولهذا قال تعالى: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾** [يوسف: ١٠٨]، وفي كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- على هذه الآية قال: وفيها التنبيه على الإخلاص؛ لأن من الناس من يدعو؛ لكنه يدعو إلى نفسه أو إلى شيخه أو إلى طريقته أو إلى حزبه أو فتيته.. أو كما قال. وهذا واقع؛ إذا نظرنا اليوم والتمسنا الصواب في ذلك وجدنا أن المتخلص من هذا قليل، وذلك يجب على الداعية أن ينتبه لنفسه وأن يحاسب نفسه بين الحين والآخر، قد يأتي الشيطان، وقد تأتي الدنيا

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٦٥١). عن ابن مسعود. مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم، حديث رقم (٢٥٣٣). عن عمران بن حصين.

وتعرض عن الإنسان بين الحين والآخر؛ لكن المؤمن رجّاع إلى الحق، لا ينفكّ من رجوعه إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بين الحين والآخر، ويطلب الصواب من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ويستغفر ربه -جل وعلا- في الغلط وعدم الاخلاص في الدعوة إلى الله؛ لأنه: كيف ينتفع الناس من دعوتك! إلا إذا أخلصت لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لأن الإخلاص يكون به القبول.

نعم.. هناك حديث قد يتحدث به الإنسان تلذّ له الآذان؛ لكنه لا يحرك في القلوب صلة لله ولا تعظيما لله، ولا يحرك في القلوب تعظيما لرسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولا صلة بالعلم، ولا بأهله، ولا بالرجوع إلى الحق، ولا يحرك في القلوب توبة ولا إنابة ولا إتباعا، وإنما يزين في العقول ويزين في الآذان دون تأثير حقيقي؛ ولكن الكلام إذا صدر من اللسان لم يتجاوز الآذان، وإذا صدر من القلوب فإنّ القلوب تعيه وتعقله.

فأول المسائل وأعظمها أن يكون الداعية متنبها للإخلاص؛ ليحذر أخذ الأجر على دعوته، ليحذر أن يقول بثنمن، وأن يتكلم بثنمن، وأن يشارك بثنمن، وإذا غلب على نفسه شيء من ذلك أو من الحاجة فليراجع نفسه أن يكون مصيبا في قوله.

والدعوة تختلف عن القرآن وتعليم القرآن، الدعوة لها حكم في ذلك غير تعليم القرآن، ولذلك أجاز العلماء أن يأخذ الداعية رزقا لا أجرا، يأخذ مكافأة من بيت المال يقررها ولي الأمر، مكافأة غير مشروطة على قيامه بهذا الواجب الكفائي؛ لأنّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قال: ﴿وَلَتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فأمر بأن يكون منّا عدد كافٍ يدعون إلى الخير، فإذا أخذ رزقا يعينه على القيام بذلك وليس أجرا مقيدا بساعة أو مقيدا بيوم أو مقيدا بشيء معين يقوله فإنه لا حرج عليه في ذلك.

السمة الثانية أن تكون الأولويات واضحة عنده في المنهج الدعوي.

المنهج الدعوي في الكتاب والسنة ظاهر الأولويات، الأولويات فيه بينة يعني الأولى فالأولى؛ الأول فالثاني فالثالث ظاهرة بينة، كما في حديث معاذ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حينما بعثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن قال له: «يا معاذ إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن

يُوحِدُوا اللَّهَ» كما في كتاب التوحيد في صحيح البخاري،^(١) وفي الصحيحين قال: **«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**،^(٢) وهذا الحديث ظاهر الدلالة في أنّ الدعوة تكون إلى توحيد الله أولاً، والتوحيد يكون أولاً إجمالاً وتفصيلاً، في الإجمال والتفصيل يدخل في ذلك كما ذكرنا تعليم العقيدة الصحيحة ونشر مؤلفاتها وأشرطتها وبيان ذلك للناس عن طريق الوسائل الحديثة: الانترنت ووسائل الإعلام والقنوات.. إلى آخر ذلك فإن هذا من أعظم القربات التي نفتدي فيها بالنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

من السمات أيضاً الحرص على الاتباع وعدم الابتداع؛ لأنّ الزمن قد يؤدي بالمرء إلى أن يحدث بدعاً في الدعوة، لماذا؟ لأن الداعية حريص يريد أن ينجح في دعوته، يريد أن يوصل إلى الناس الرسالة، فحرصه على الخير هذا قد يجلبه إلى أن يبتدع في الدعوة أشياء لم يأذن الله بها ولم يدل عليها دليل.

وكثير من الناس تختلط عليه المصالح في الدعوة بوجوب الاتباع، يظن أن كل مصلحة ظهرت فإنه يسوغ الأخذ بها. وهذا ليس بصحيح؛ فالمصالح المتوخاة التي دعت إليها الشريعة هي المصالح التي دلّ عليها الدليل، أو المصالح الاجتهادية التي لا يكون فيها مضاهاة للشرع أو تؤول إلى ما لا يُحمد في الشرع.

فإذا كان في المصالح ابتداع، أو كان فيها خروج عن الإخلاص، أو ذهب إلى عدم لزوم الأولويات في الشرع فإن هذا باطل.

مثل من يقول: إننا نريد بالدعوة السياسة أما الأمور الأخرى فدعها بعد ذلك.

ومثل من يقول: المهم في الدعوة السلوك، إننا نربي الناس على الزهد والفضائل وأشباه ذلك، وهم في الدين لا يفقهون، وهم في التوحيد ضعاف ربما جهلوا وربما مارسوا بعض البدع والمحدثات،

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلى توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حديث رقم (٧٣٧٢).

(٢) البخاري: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم (١٤٥٨).

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم (١٩).

وهذا خروج عن قاعدة الدعوة التي سار عليها السلف الصالح؛ أنه لا بد من الاتباع والحذر من الابتداع.

ولهذا قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في الحديث المتفق على صحته من حديث عائشة **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**،^(١) (رد) يعني مردود على صاحبه، وقوله: **«في أمرنا هذا»** الدعوة داخلية في هذه الإضافة لأنها من أمر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن أمر الدين، فمن أحدث في الدعوة ما ليس من الإسلام، ما ليس من هدي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما ليس مقرا من أهل العلم فهو رد مردود على صاحبه.

من سمات المنهج الدعوي المؤصل على الكتاب والسنة الاعتناء في التربية بالعلم.

هناك من يعتني في التربية الدعوية بالسلوكيات، أو يعتني في أن يفهموا الواقع المحلي أو الواقع الدولي، أو أن يفهموا محاسن الإسلام، أو فهموا التقارير المتعلقة بأوضاع الحكام أو الدول أو المستجدات.. ويمضي على هذا الأمر سنون دون تغيير ودون أن يرفع أو يغير في منهاج دعوته، فهذا فيه ضرر بين على المدعو؛ لأنك تدعو هذا الإنسان إلى ربه، فإذا كنت تدعوه إلى ربه فإنما ينجو يوم القيامة من أتى الله بقلب سليم، لا بعقل متنور، لا بعقل يفهم المستجدات، لا بعقل يفهم العصر وأحواله ووقائعه السياسية، حتى أصبح بعض الدعاة أو بعض من يهتم بالدعوة يتابع الأخبار السياسية أكثر من مراجعته لكلام أهل العلم وللقرآن وللتفسير وصحيح البخاري ومسلم وكتب السنة وكلام المجتهدين من أهل العلم، وفي هذا ضرر بالغ للداعية في نفسه وعلى المدعويين.

ولذلك كان من المهم أن يكون في الدعوة عناية بالعلم النافع في التربية؛ بل أول درجات التربية: التربية العلمية بمعرفة المدعو للقرآن، وحفظه ما تيسر منه، وللسنة وللالتزام بها وبمعرفة الفرق بين السنة والبدعة والتحذير من الابتداع، والعناية بالعلم المؤصل، العلم المرتبط بالقرآن والسنة.

هناك مسألة متصلة بمنهج السلف الصالح في الدعوة والعلم وهي العناية باللغة العربية، القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين، فكيف نفقه القرآن؟ نفقه أخباره، نفقه أوامره، نواهيه، حدوده، وعده

(١) البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اضطلعوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم ٢٦٩٧.

مسلم: كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم ١٧١٨.

ووعيده، كيف نفقه ما قصّ الله علينا فيه؟ كيف تحرك به القلوب؟ إنما هو باللغة العربية، ولذلك كان السلف الصالح إذا دَعَوْا إلى الله في أيّ من البلاد التي فتحوها بالعلم والقرآن قبل السيّف والسّنان، فإنهم أولاً يعلمون الناس اللغة العربية، لذلك انتشرت اللغة العربية وفُقهت اللغة العربية حتى كان من أبناء الأمم الأخرى من أصّل لنا قواعد اللغة العربية، وذلك لعنايتهم بها واشتداد اهتمامهم بها.

ولهذا تجد اليوم الصالحين من أهل العلم في مشارق الأرض ومغاربها يحرصون على تعليم الناس هذه اللغة العربية، لماذا؟ ليست لأنها لغة العرق العربي والجنس العربي، لا؛ لأنها لغة الإسلام ولغة القرآن، ولغة الفقه عن الله -جل وعلا- وعن رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولهذا العناية بتعليم اللغة العربية هذه من سمات السلف الصالح في منهاج دعوتهم، لا يدعون بلغات الأقوام، ويتركون الناس لا يفقهون، يقولون: تعالوا أنتم؛ يعلمونهم أشياء من الإسلام ويقولون: أدعوا لها بلغاتكم ويتركونهم إنما يعلمونهم باللغة العربية قدر الامكان، ولا يمكن أن يكون داعيةً بصيرا في دعوته لا يعلم اللغة العربية، وهذا مما يؤكد أن يعتني الدعاة اليوم في المراكز الإسلامية وفي المؤسسات والجمعيات في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتنوا في العلم والعمل باللغة العربية فإنه لا قوة للإسلام إلا بقوة أهل العلم وأهل الدعوة، ولا قوة لأهل العلم ولا لأهل الدعوة إلا بقوتهم في اللغة العربية، فإذا أُصِيبنا في اللغة العربية فهما واستنباطا أو نطقا وتحدثا فإننا سنصاب في فهمنا لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

من المسائل التي كانت من سمات السلف الصالح أنهم كانوا ينضبطون علميا في المسائل التي يتناولونها.

العلم واسع، وكتبه كثيرة، وتلقيه ليس بالسهل فلا بد من الاتسام بالانضباط العلمي، الانضباط العلمي يشمل مسائل:

المسألة الأولى: أن يكون الداعية يعلم من نفسه أنه متمكن علميا في ما يدعو إليه، لا نشترط في الدعوة العلم الكامل، وإنما من علم شيئا بدليله وفهمه، فإنه له أن يدعو إليه، علمت أمرا في التوحيد وفهمته تدعو إليه، علمت مسائل من الشرع بدليلها ووضوحها فإنك تدعو إليها.

المسألة الثانية: أن يكون هناك علم بأخلاق الداعية؛ الانضباط بالأخلاق المرجوة، التي هي أخلاق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في دعوته، وأخلاق الصحابة ومن أعظمها: الإخلاص، والصبر، ومعرفة الحق، والخلق الحسن، حسن الكلام مع الناس، لين الجانب، التعبد، القدوة الحسنة، وهكذا فالخلق الذي أسماه عدد من أهل العلم، السلوك هذا من المهمات في الانضباط العلمي لدا الداعية؛ لأنه بلا

خلق فإنه لا يكون علما صحيحا، بلا صبر، بلا أناة، بلا لين جانب، بلا تودة، بلا حلم، فكيف يكون داعية؟! !

المسألة الثالثة: أن يكون عنده انضباط علمي في تناول واقع الناس، واقع الناس مختلف؛ الناس ربما كانوا في بلد ما لديهم عادات، لديهم أمور، فالعلم قد يؤدي إلى شيء؛ لكن انضباط الداعية بالعلم يجعله يهتم بمهارات مخاطبة الناس.

فإذن عندنا ثلاثة عناصر:

- العنصر الأول: العلم وهذا مهم وهو الأصل.
- العنصر الثاني الخلق.
- العنصر الثالث المهارة.

ما صلة هذا بالانضباط؟ لا يمكن أن يكون -في اختلافنا في أمور الدعوة وفي مناهج الدعوة والناس فيما يأتون وما يذرون ومشاربهم - العلم وحده علاجا، ولذلك هناك كثير عُرفوا بعلم نافع؛ لكن ليس لديهم خلق الداعية، أو ليس لديهم مهارة الداعية التي تجعله ينضبط دعويا وعلميا بأصول العلم، دعوة بعلم وبأخلاق دون مهارة مخاطبة الناس يوقع الدعوة في أمور كثيرة متنوعة ليست محمودة.

لهذا كان من اللوازم أن يكون الداعية على منهاج السلف الصالح عالما خلوقا بصيرا بكيفية إيصال دعوته، وإنما أوتيت الدعوة السلفية في كثير من الأنحاء على صوابها وحسن منهج أهلها في أن لا يكون هناك خلق مع حامل العلم؛ فيؤتى من هذا القبيل.

لهذا إذا أردنا أن ننهض بدعوتنا والدعوة الإسلامية على منهاج السلف الصالح فلا بد أن يكون هناك عناية بانضباط علمي ودعوي مبني على هذه العناصر الثلاثة:

العلم بسعته بسعته بأصوله وبقواعده.

الثاني الأخلاق.

والثالث مهارة التعامل مع الناس وكيفية تعامل الداعية مع الناس.

من سمات السلف الصالح في دعوتهم أنهم دعاة إلى الجماعة ودعاة إلى أطراح الفرقة، فكل وسيلة من وسائل اجتماع الناس فإنهم يأتونها، وكل وسيلة من وسائل افتراق الناس فإنهم يذرونها،

ولذلك كانت دعوتهم إلى السنة وإلى التوحيد وإلى لزوك العمل دعوة إلى الاجتماع، لأن الاجتماع هو اجتماع في الدين.

الجماعة جماعتان:

• جماعة في الدين.

• وجماعة في الأبدان في الدنيا، أبدان الناس، ومصالحهم ودنياهم.

واجتماع الناس في دينهم وسيلة لاجتماعهم في دنياهم، ولذلك من سمات منهاج السلف الصالح في الدعوة أنهم دعاة إلى الاجتماع وإلى نبذ الفرقة.

الجماعة ونبذ الفرقة في أصناف:

أولاً في أعظم أمر وهو الاجتماع في الدين وعدم التفرق فيه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فإقامة الدين وعدم التفرق فيه، هُذا دعوة إلى الجماعة وإلى نبذ الفرقة.

ثانياً الاجتماع على من له السمع والطاعة وله الولاية وهو ولي الأمر المبايع، فالاجتماع عليه واجب ومن سمات منهاج السلف الصالح، ولذلك ذموا الخوارج وذبوا الفرق من المعتزلة والكرامية والشيعة وأشباههم؛ لأنهم يدعون إلى الخروج على ولاية الحق وعلى من له البيعة الشرعية.

وهذا يجعلنا نقول: إنه ليس من الدين، ولا من الكتاب والسنة، ولا مما دل عليه منهاج السلف الصالح أن يكون في بلد الإسلام بيعتان: بيعة على السمع والطاعة للدولة، وبيعة أخرى للجماعة، أو بيعة دعوية، أو بيعة سلوكية، أو بيعة طرقية، فليس هناك إلا بيعة واحدة، فكل بيعة خلاف البيعة المعروفة التي تؤدي للسمع للطاعة إمام المسلمين ولولي أمرهم فلا يصح إذن أن تدعو جماعة من الجماعات في منهاج دعوي إلى بيعة مرشد لها، أو إلى إمام لها، أو إلى شيخ من المشايخ عندهم، أو إلى شيخ طريقة، أو إلى إمام أو نحو ذلك؛ لأن هذه البيعات لا دليل عليها ومخالفة لما دل عليه الدليل ونهج السلف الصالح في أن البيعة واحدة غير متعدّدة، فليس هناك عدة بيعات في المنهج الدعوي الذي سلكه السلف الصالح.

وبالتالي فأى شيء من هذا سيؤدي إلى فرقة وإلى اختلاف ومناظرة طريقة السلف الصالح.

من سمات السلف الصالح اعتناؤهم بالوسطية والاعتدال.

الوسطية والاعتدال معناها أن يأخذوا في الأمور بالوسط بين طرفين: فليس السلف الصالح مع أهل الغلو في غلوهم، وليسوا مع أهل الجفاء في جفائهم، ليسوا مع أهل الغلو في الدعوة ولا في العمل ولا

في العلم، وليسوا مع أهل الجفاء في الدعوة أو في العمل أو في العلم، إنما هم وسط بين ذلك، كما أنهم وسط في توحيد الله وفي صفاته وفي السنة وفي السلوك بين طرفين، كذلك هم في منهاج الدعوة وسط بين طرفين، وهذا يجعل دعوتهم قابلة للانتشار والبقاء؛ لأنه بالتجربة كل دعوة خرجت عن منهاج السلف الصالح بخلو أو زيادات أو بشيء من المبالغة فإنه لا يكتب لها الاستمرار، وإنما يكتب الله الاستمرار للدعوة التي هي على منهاج سابق.

ولذلك أنظر في كتب الفرق ما أكثرها، تجد أن فرقا كثيرة أتت وانتهت واضمحلت وبقي البقاء العام في أمة الإسلام لأهل السنة والجماعة على بقاء بعض النحل ستبقى إلى قيام الساعة كما قال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في الحديث الصحيح: **«إن اليهود افرقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى افرقت على ثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»**.^(١)

من سمات المنهج السلفي في الدعوة أنه منهج يعتمد على النصوص الشرعية وعلى القواعد المأخوذة من النصوص ومن كلام أهل العلم.

فلدى هذا المنهج كليات تحكم طبيعة دعوته، فالأدلة مقدّمة، والقواعد العامة مقدّمة؛ لأنه لا بد من ضبطٍ للدعوة وإلا تعددت الاجتهادات، فإذا كان هناك رجوع إلى الدليل وإلى القواعد فإن الدعوة تتقارب.

ومن ذلك قاعدة العناية بالمصالح العامة وتقديعها على المصالح الخاصة المصالح الكلية العامة في الأمة مهمة، فإذا أتى منهج من مناهج الدعوة يريد أن يقدم مصلحة خاصة لمنهاجه على المصلحة العامة للأمة فإنه حين ذاك يشقّ طريقا فيه فرقة لهذه الأمة، ولهذا اعتنى السلف الصالح -رحمهم الله- بالمصلحة العليا للأمة وتفويت الأدنى من المصالح الخاصة، حتى لو كانت مصالح متعلقة بالداعية ذاته أو ببعض المسائل فإنهم يفوّتون المصلحة الدنيا لتحصيل المصالح الكلية.

(١) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (٢٦٤١)، وقال: حديث مفسّر حسن غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. قال الشيخ الألباني: حسن.

وهذا إنما يقدره أهل العلم، والزمان يتفاوت والناس يتفاوتون، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله رحمة واسعة: تَحْدُثُ للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور. يعني أن اجتهد العالم يُحدث له قضاءً جديدًا لأجل أن الناس أحدثوا فجورًا في حياتهم في منحى من المناحي. مثل أيضًا أعمال قاعدة سد الذرائع، الذرائع جمع ذريعة، وهي في الشرع كل وسيلة أو كل طريق إلى غيره؛ لكنه في القاعدة عنوا بها الذرائع الموصلة إلى ما هو منهى عنه في الشرع. لذلك هناك قاعدتان يعمل بهما في ذلك:

أولاً أنه ما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع، أن يكون المشروع واجبًا فما لا يتم إلا به يكون واجبًا، وما لا يتم المستحب إلا به فهو مستحب؛ لأن الوسائل لها أحكام الغايات.

والثاني سد الذرائع، ومن المعلوم أن الذرائع ثلاثة أقسام عند الأصوليين وأصحاب القواعد: **القسم الأول:** ذريعة أجمع العلماء على عدم سدها، مثل زراعة العنب، بيع السكاكين، ومثل بيع وسائل الإشعال، واحد يقول: نمنع العنب حتى لا يشرب الناس خمرًا. أجمع العلماء على أنه لا يجوز سد هذه الذريعة؛ لأنها ذريعة متوهمة ونادرة.

لا نبيع سكاكين حتى لا يقتل أحد آخر بالسكين. أجمع على أن هذه ذريعة لا تسد. لا نخفر آبارًا حتى لا يأتي أحد ويسقط في بئر فيموت، أجمع العلماء على أنها لا تسد. وأمثال ذلك كثير...

فإعمال قاعدة سد الذرائع في الدعوة يجب أن تكون بمقدارها، ما نقول هذه ذريعة نسدها، فأحيانًا بعض الذرائع لا تسد لأجل ظهور الحاجة العامة لها.

القسم الثاني: ما اتفق العلماء على أنه يسد، مثل الخلوة وتكشُّف المرأة في إظهار مفاتنها وتبرجها أمام رجل أجنبي، فإن هذا مما اتفق العلماء على أنها تسد، وأمثال ذلك كثير...

القسم الثالث: وهناك مسائل اختلفوا فيها هل تسد أم لا تسد، وهذه المختلف فيها يأتي كثير منها في أمور الدعوة، مثل بعض الأشياء التي يتكلم فيها أو يأتيها بعض الدعاة كالأناشيد التي يسمونها أناشيد إسلامية، ومثل بعض الأعمال الدعوية، مثل مخيمات مثل معسكرات.. بعض الناس يقول: هذه ذريعة إلى طرق صوفية أو إلى ما أشبه ذلك. آخرون يقولون: لا، هذه وسيلة نافعة.

فإذا كان هناك خلاف في هذه الذرائع، التي هل تسد أو لا تسد في المنهاج الدعوي، فلا بد من الرجوع إلى أهل العلم لحصول اجتهاد في هذه استنادا للكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، فإذا اختلف أهل العلم الراسخون في ذلك فإن المسألة يكون فيها سعة لذلك.

من هذه سمات منهاج السلف في الدعوة أن الناس يحتاجون إلى بثّ الفأل والرّغب فيهم أكثر من التقنيط والترهيب.

يعني أن يكون اعتماد الدعوة في بثّ الفأل، وبثّ الترغيب؛ ما يرغب الناس وما يفتح أمامهم انشراح الصدر، لذلك قالت عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- لعبيد بن عمير: يا عبيد إذا وعظت فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، وإياك وإملا ل الناس وتقنيتهم. فالمبالغة في الترهيب بحيث يأتي الإنسان حالة نفسية أنه هالك لا محالة، هذا ليس من منهاج السلف، والمبالغة في التشاؤم أو ذكر الأوضاع أو التشاؤم منها، هذا ليس مما يقتضيه العلم، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يحب الفأل كما ثبت في الصحيح، الفأل ما هو؟ الكلمة الحسنة يسمعوها، لذلك الداعية في محاضراته والخطيب في خطبته يحرص على ما يبعث الفأل في الناس وعلى ما يبعث فيهم الرغب، ويقلل من التيسيس جداً ومن الترهب الذي يخيف، فيكون بقدره، لذلك تجد في القرآن وصف الجنة أكثر من وصف النار، والترغيب أكثر من الترهب.

هذا يأتي إلى وسيلة أو إلى طريقة من طرائق الدعوة المعاصرة التي استخدمها بعضهم وهي منكرة، وهي أن يُبعث في الناس التشاؤم من حال الإسلام ومن حال أهله، ويأتي خطيب أو إمام أو داعية أو ملقي أو مدرس في مدرسته أو.. أو.. يأتي لأوضاع المسلمين في دينهم، لأوضاع السياسية، لأوضاع المسلمين في أحوالهم، ويأتي ويقول ويقول حتى يقنط الناس ويبعث فيهم التشاؤم واليأس من أن يكون هناك مخرجاً وطريقاً إلى الله -جل وعلا- وعودة إلى عزة هذا الدين، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«بدأ هذا الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء»**،^(١) في مسند أحمد بإسناد لا بأس به قال: **«الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس -أو: يصلحون ما أفسد الناس»**^(٢)

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وأنه سيعود غريبا، وأنه يآرز بين السجدين، حديث رقم (١٤٥).

(٢) لم أجده في المسند بهذا اللفظ -والله أعلم- ورواه الآجري في صفة الغرباء والطبراني في المعجم الكبير والبيهقي في الزهد وغيرهم.

إذا فسد الناس أو جاءهم الكثير من الواقع المؤلم في دينهم، في شهواتهم، في واقعهم في بلدهم؛ في دولتهم، في الواقع العام للمسلمين إلى آخره، لا يجوز أن يسلك في الدعوة سلوك التئيس والتشاؤم. من ذلك ذكر مكائد أعداء الإسلام، وذكر خططهم والمبالغة في ذلك، فإن هذا مخالف لأمر الله -جل وعلا- الشرعي، وهو مخالف أيضا لأمره القدري؛ لأن الأمور ليست بقدر بشرية ولا بعادة وعناد، ولا بواقع، الله -جل وعلا- يغير الأمور في يوم وليلة بـ(كن فيكون).

العالم الغربي تربّع على قوة اقتصادية رهيبة بأموال تُحسب بأرقام ربما لا يعرفها الأكثرون من كبرها، في ثلاثة أيام صار العالم كله يعاني مشكلة عظيمة في الاقتصاد والركود والكساد.. إلى آخره، وذهبت جل تلك الأموال، ووقعت شركات ودول في إفلاس وو.. إلى آخره. إذاً النظر في الأمور البشرية البحتة بمدح فاضح كما عند المرجفين أو بتئيس فاضح مبالغ فيه كما عند بعض الدعاة والخطباء، هذا ليس على منهاج السلف الصالح، الواجب في ذلك الاعتدال في الأمور، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

من سمات منهج السلف الصالح أنهم يحرصون على الرد على الشبه في الدين.

وليس عندهم أن كل منتسب للدين فإنه يُسكت عليه، فإن حماية الدين والملة والديانة والحق والكتاب والسنة أولى من رعاية المعين، ولذلك من كان سمة السلف الصالح أنه عندهم الردود العلمية على المبطلين المخالفين في العقيدة، المخالفين في لزوم الجمعة، حتى قال الإمام أحمد لرجل: قم أنت رجل ضال. لمخالفة تتعلق بالجماعة في كلامه، وهكذا.

لكن هذا لا يعني إحداث الفرق، ولا يعني المبالغة في ذلك، حتى يكون هناك الكثير من الخروج عن منهاج النبوة في جمع الكلمة وجمع كلمة المسلمين.

وآخر هذه السمات بما اقتضاه المقام أن السائرين على منهاج الدعوة على منهاج السلف الصالح وبما دلّ عليه الدليل من الكتاب والسنة يتسمون بسلامة ألسنتهم وصدورهم من الوقعة في أهل العلم أو أهل الدين أو من بغضهم وشأنهم.

وهذا من المهمات في نجاح الداعية في دعوته، فإن الذي يحمل لسانا وقاعا فإن الله -جل وعلا- يبتليه بوقوع الناس فيه، والذي يحمل قلباً يحمل غيضاً على المؤمنين أو على بعض المؤمنين فإنه لا يؤثر في دعوته، لهذا كان السلف الصالح يدعون ويرون أنهم أقلّ الناس، قال الحسن البصري رحمه الله: ما لقيت أحداً إلا ظننت أنه خير مني. ولما وقف أيضا الحسن البصري -رحمه الله رحمة واسعة- والفرزدق الشاعر على قبر، قال الحسن للفرزدق الشاعر: يا فرزدق ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال

الفرزدق: أما أنا فأعددت لها (لا إله إلا الله محمدا رسول الله)، وأما أنت فأعددت لها عملك. فبكى الحسن، وقال: إن كان الأمر كذلك فيايك والوقوع في المحصنات. فحملة كلام هذا الرجل الشاعر الجاهل المتعدي على الحرائر في شعره، حملة على أن يذل للحق وأن يكون لنا.

ولذلك من سمة الداعية -وهكذا كان السلف- أنهم يقبلون الحق ممن جاء به، ويلينون لإخوانهم لا يكونون في مجالسهم مشغولين بالوقعة بفلان وفلان، هذه أمور إنما تؤتى بقدر الحاجة في حينها؛ لكن أن تكون منهجا وسبيلا، وتكون ديدنا فلان فيه وجرح تعديل وفلان فيه، وهكذا هذا مخالف لنهج السلف الصالح، لذلك سلامة اللسان وسلامة الصدر من سمات الداعية على ذلك المنهاج.

اللهم إنا نسألك أن تختتم لنا بالحسن وأن توفقنا إلى ما فيه رضاك، أن تنير لنا درب الجنة، وأن تقينا وأن تعيدنا من دروب النار إنك على كل شيء قدير.

اللهم وفق ولاية أمورنا إلى ما تحب وترضى، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى. نعوذ بك -اللهم- من الضلال بعد الهدى، ومن الحور بعد الكور، اللهم نجنا إنك على كل شيء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.



[الأسئلة]

سؤال (٥١): سائل من الجزائر يقول: هل تعتبر المناهج الدعوية أصلا من أصول الدين، أم أنها تندرج تحت الفروع الشرعية التي يجوز الخلاف فيها؟

الجواب: الحمد لله وبعد، هناك فرق ما بين المذهب والمنهج، المذاهب غير المناهج، المذاهب هي اجتهادات لعلماء اجتهدوا في فهم الدليل، فهم القرآن، فهم السنة، فهم كلام الصحابة، فهم الأصول والقواعد فحكموا في المسائل الفقهية بما اجتهدوا فيه، فنشأت المذاهب. فالمذاهب نتيجة لاجتهاد علمي.

أما المناهج فهي نتيجة لاجتهاد سييلي، طريقي؛ يعني الوسيلة؛ طريق، وهذا يجعل الفرق كبيرا.

لذلك الطريق بَيِّن واضح، الطريق في مجمله واضح بَيِّن، نعم هناك مسائل يكون الاختلاف فيها يسيراً أو الاختلاف فيها سائغاً في المناهج الدعوية، لكن أكثر ذلك ما بين صواب وخطأ، وما بين حق وباطل.

لكن المذاهب فيها اجتهادات، لذلك لا تقارن المناهج الدعوية بالمذاهب، فالمذاهب الخلاف فيها واسع لاعتمادها على فهم لأدلة محتملة لعدة فهم في المسألة؛ لكن المناهج إنّما جاء الخلاف فيها من قبيل عدم الاعتداد بالدليل ومنهج السلف، والأخذ بالمصالح المتوهمّة.

فلذلك الذي يقرأ في المناهج الدعوية المعاصرة بعمومها يجد أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:
الأول: **مناهج سياسية**، وهذه تأثرت في الأصل بمناهج الشيوعيين في تأسيسهم للأحزاب الشيوعية وإنشائهم للدولة الشيوعية.

والثاني **مناهج سلوكية**، وهذه في الغالب ترجع إلى تأثر بالمنهج الصوفي في طرقه وخروجه معداته والارتباط بالشيخ والمريد وعلاقته بشيخه ونحوه.

والثالث **مناهج سلفية** معتمدة على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، على تباين بينها في الصواب والخطأ والقرب والبعد ولزوم المنهج الصحيح والبعد عنه.

سؤال (٥٢): ما هي الخطوات والوسائل المعينة في طلب العلم وهل تنصحون بكتب محددة في ذلك علماً بأن مبتدئ في هذا الأمر؟

الجواب: أولاً هذا من هداية الله لك ورحمته بك أن سلك بك طريق العلم **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**،^(١) ولهذا يجب عليك أن تمشي في هذا الطريق كما مشى طلبة العلم من قبلك: أولاً العناية بالقرآن، تجتهد في حفظ القرآن، أو ما تيسر منه ليل نهار بقدر المستطاع، وفقه القرآن بمعرفة بعض تفسيره.

ثم العناية بالنبد المختصرة وقراءتها على أهل العلم، والنبد في التوحيد مثل لمعة الاعتقاد والواسطية ومثل ثلاثة الأصول في توحيد العبادة وكتاب التوحيد وما أشبه ذلك.

ثم في كتب الفقه عمدة الفقه لابن قدامة وتدرج بعد ذلك إلى أن تصل إلى زاد المستقنع، وما أشبه ذلك على أهل العلم.

^(١) البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم الحديث: (٧١).

مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث (١٠٣٧).

وكتب الحديث المختصرة خاصة أحاديث الأحكام مثل عمدة الأحكام وبلوغ المرام، والاطلاع في الصحيحين.

والاهتمام في السلوك برياض الصالحين وشروحه، فإن في ذلك خيرا كثيرا إن شاء الله.

سؤال (٠٣): هل تنصحون بالتفرغ لطلب العلم فترة من الزمن تفرغا كلياً، ثم بعد ذلك نجمع بين طلب العلم وطلب الرزق بعد أن يؤصل المرء نفسه بالعلم الشرعي، وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: إذا كان المرء عنده همة ولن تتأثر معاشه بذلك ولن يضيع من يقوت فالإنصراف للعلم من أجل القربات؛ لكن إذا كان لديه من يعولهم ويقوتهم فسيضيع نفسه أو يضيع ذلك فإنه سيعان بإذن الله في الجمع بين هذا وهذا، وكثيرون جمعوا لم يتفرغوا وجمعوا بين طلب الرزق وطلب العلم وتقدموا والله الحمد، وبالنية الصالحة والهمة العالية يحصل ذلك بإذن الله.

سؤال (٠٤): لا يخفى [التعميم] الصادر من وزارة الشؤون الإسلامية من التحذير من جماعة التبليغ وغيرها ولما امتثل الخطاب لذلك الخطباء وتحدثوا في الموضوع حصل نوع من الفجوة بين طلبة العلم وبعض المنتسبين إلى تلك الجماعة، هل يدخل في ذلك تغليب المصلحة على المفسدة عدم التحدث في هذا الموضوع؟ وجزاكم الله خيراً.

الجواب: الخطيب أو الإمام الذي جاءه هذا التبليغ يرجع لمن بلغه بذلك ويستفصل منه، وهو يبلغه إن شاء الله بالصواب.

سؤال (٠٥) بعض أصحاب الدعوات يقولون: إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. فيسعون إلى الحكم حتى يتم تغيير الناس ودعوتهم بالسلطان من خلال قوة الحكم فما توجيه معاليكم؟

الجواب: أولاً هذا من كلام عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قد صح عنه أنه قال: إن الله قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. وهذا حق، والسلطان المقصود به كل سلطان في ولايته، ليس السلطان الأعظم فقط، المرء في بيته إذا وعظ أهله بالقرآن ربما لا يستجيبون؛ لكن إذا قال: نعم ولا، قد ينتهون وقد يفعلون بالأمر والنهي، وهكذا في الولاية، فالولايات لأربابها يكون معهم من القوة ما يلزمون الناس بالحق والهدى، والناس قد لا تلين قلوبهم للقرآن استجابة بقدر ما يستجيبون خوفاً أو طمعا من صاحب الولاية.

لذلك هذا القول صحيح؛ لكن ليس فيه حجة لمن أراد تقديم السياسة على الدين.

الوصول للسلطان بالدعوة بقلب الأنظمة هـذا من أبطل الباطل، ووسيلة فاسدة، وجرب الناس فسادها وحصل عنها من الشرور ما لا تحمد عقباه، في أي مكان في الأرض، فما عرف أن أحدا قام بانقلاب باسم الدين على ولاة، واستقامت الأمور كما ينبغي.

يريد أهل العلم في ذلك إعمالا بـ(إن الله قد يزع بالسلطانا لا يزع بالقرآن) أنهم ينتصرون لدعوتهم بذوي السلطان، يبلغونها للسلطان ويطلبون منه نصره الحق ونصرة الدين، وأن هـذا من واجبه ويعضونه ويبينون أن هـذا من الحق عليه وأنه من واجبه، فإذا حصل ذلك وأعانه الله على ذلك، فهـذا من الفتح الكبير.

وأما منابذة الولاة والسعي وقلب منهاج الدعوة لأجل أن يصل للحكم استنادا لهذا الأثر من قول عثمان، فإنه بعيد بمقتضى العلم والنظر الصحيح. نكتفي بهـذا.



تعليق معالي مفتي المملكة العربية السعودية سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

باسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله، وعلى آله وعلى صحابته أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ وبعد..

كان عنوان المحاضرة كما أسلف تأصيل مناهج الدعوة إلى الله على وفق الكتاب والسنة وعلى ما فهمه سلف هذه الأمة، هذا هو العنوان.

وقد تفضل معالي الشيخ وسماحة الشيخ بتحقيق هذا العنوان وتطبيق هذا العنوان وبيان أنواع التأصيل لهذا العنوان.

فقد أشار في أول المحاضرة إلى قضية الإخلاص، وأن الداعي إلى الله لا بد أن يكون مخلصاً في دعوته صادقاً فيها؛ لأن العمل الصالح الخالص لله هو العمل المقبول وهو العمل الباقي، وكل عمل غير مخلص لله فهو عمل لا ينفع ولا يبقى له أثر.

ثم تحدث الشيخ -وفقه الله- أيضاً عن أساليب الدعوة، وذكر طرق الدعاة، وأنهم يختلفون في مناهجهم.. ومنها مناهج سياسية ومنها مناهج فكرية.. ومنها ومنها، فتنوعت هذه الاتجاهات.. .. سنة وبين الأخلاق الفاضلة، وبين التوعية الصحيحة، وبين التحدث عن الواقع على ضوء الكتاب والسنة.

فكل المناهج إذا أخضعت للكتاب والسنة وصار الهدف منها تحقيق وتطبيق المنهج الإسلامي فإنها دعوات نافعة.

وأما الدعوات التي لها طرق مختلفة فإنها في الغالب تكون قاصرة ولا تؤدي الغرض المطلوب.

ثم أيضاً بين الشيخ موضوعاً آخر وهو ما يسلكه بعض الدعاة وبعض المنتسبين من ارتباط بشيوخ الطرق وأرباب الدعوات وما يسمى ببيعة الدعوة.. إلى آخر ذلك، وبين أن هذه أمور خاطئة، وإنما البيعة لمن ولاه الله أمر الأمة يبايع على الكتاب والسنة، وأما بيعات لهذا وهذا وارتباط بهذا وهذا، فأهل العلم ليسوا بأهل سلطة وليسوا بأهل زعامة، وليس هدفهم البروز، ولا هدفهم الشرف في الدنيا، هدفهم تبين الحق وإصلاح الخلق، لا يهدفون من وراءه جزاء ولا شكوراً، ولا

يهدفون من دعوتهم تكوين حزب أو إنشائه، لا، هم فقط دعاة يوضحون الحق ويبينونه ويدعون الناس إليه، هذه مناهجهم وهذه طريقتهم.

ثم تطرّق الشيخ إلى موضوع طرق الدّعوة، وأن الدعوة تكون باللغة العربية، لغة القرآن، وأن الداعي إلى الله إن لم يكن كذلك فهذا قصور في دعوته، لاشك أنه قد يخاطب الناس بلغاتهم؛ لكن ينبغي أن يكون ذلك محدودا، وأن تكون اللغة العربية لغة الدّاعي إلى الله حتى يفهم الناس الكتاب والسنة على الفهم الصحيح.

وأشار الشيخ أيضا إلى أن علم الداعي بالواقع أمر مطلوب، ولا بد أن يعي واقع الناس، وأن هذا من البصيرة، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمعاذ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلُ كِتَابٍ**» ليكون الداعي على بصيرة بحقيقة حال من يدعوهم، وعلمهم من جهلهم، وما هي الطرق التي هم عليها، وما هي الأساليب التي يسلكونها؛ لأن لكل قوم خطاب يليق بهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠٤]، وأن هذا التبيين يخاطب الداعي إلى الله الناس على حسب حالهم، فإذا علم الواقع وعلم حال الناس وتبصر في ذلك؛ لكنه لا يجعلها هذه كلية إنما يجعل هذه وسائل للوصول إلى الدعوة الصادقة الدعوة إلى الكتاب والسنة وإلى العمل بهما.

ثم أشار الشيخ أيضا إلى أمر آخر وهو أن كثيرا من الدعوات التي قامت ليس لها ارتباط بالكتاب والسنة، وإنما هي لأغراض خاصة أنه لم يُكتب لها البقاء، بل بُطرت؛ لأن الدعوات إذا لم تؤصل على أصل ثابت فإنها دعوات باطلة، تذهب وتضمحل؛ إنما يبقى ما كان لله، وما أريد به وجه الله.

قال الإمام مالك -رحمه الله- لما ألف موطأه وألف غيره موطآت متشبهها به، قال: ما كان لله سيبقى وما كان لغيره سيضمحل. قالوا: فلم يبق مع موطأ مالك موطأ آخر. كل هذا لأن الاخلاص والصدق مع الله والتعامل بالإخلاص له أثر عظيم في نجاح الدعوة.

ثم ذكر الشيخ وفقه الله أيضا أمرا آخر يخص الدعوة إلى الله، وهو أن الداعي إلى الله مع إخلاصه وحلمه ومعرفته وفهمه لإدراك الواقع لابد من صبر وتحلٍّ للصبر، ولا بد من سلامة الصدر وأن لا يحمل غيظا.

ثم ذكر الشيخ أيضا سمة أخرى أن الداعي إلى الله لابد أن يكون عفيف اللسان، وأن من تسلط على الناس بلسانه يعاقب ي بأن يسلط عليه من يتحدث عنه ويمقتة كما مقت الآخرين، في الحديث «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلْسَانَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لَا تَوَدُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَمَنْ تَتَّبِع**

عورائهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته أخزاه ولو في جوف بيته^(١)، وأن الداعي إلى الله إذا سلم لسانه وعفّ عن الباطل فإن الله يجعل في دعوته خيراً ويصغون إليه، فليس المؤمن بالسبّاب ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء، إنما هو داعٍ ومشفق على الخلق ومحسن إليهم وحريص على هدايتهم اقتداءً بنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة: ١٢٨].

والحقيقة أن هذا التأصيل بهذا المنهج الدعوي هو المطلوب، وهذه المحاضرة القيمة التي نرجو من معاليه - إن شاء الله - أن يهتم بطاعتها وإخراجها وتوزيعها على مراكز الدعوة في الداخل والخارج لأن هذه الأمور قد تخفى عن كثير من الناس، ويلتبس الأمر عليهم، فيخوض بعضهم في الباطل من حيث لا يعلم؛ قصده الحسن؛ لكن قد يجهل الحقيقة.

ثم تحدث الشيخ عن سد الذرائع ومتى تكون الذرائع ممنوعة ومتى تكون مآذونا بها. إلى غير ذلك من هذه الأصول الثابتة فهي أمور مهمة تجلو الحق وتوضح الحق وتوصل الحق، فهذه المحاضرة وأمثالها نرجو التوفيق من الله أن تنشر للدعاة إلى الله في الداخل والخارج لتكون منهجاً لهم ونبراساً يسيرون عليه.

زاد الله الشيخ توفيقاً وهداية، وبارك له في عمره وعمله وسمعته وبصره، ووفقه لما يحبه ويرضاه وغفر لنا ولكم جميعاً، وصلى الله على محمد.



^(١) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة والآداب، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، حديث رقم (٢٠٣٢). قال الشيخ الألباني: حسن.

الفهرس

٢	المقدمة.....
٢	سبب اختيار الموضوع.....
٢	أصناف الدعاة.....
٣	أهمية العناية بالتأصيل.....
٣	تعريف المنهج.....
٣	من أسباب تعدد المناهج.....
٣	من مهمات الداعية التخلص من الدنيا.....
٤	الدعوة إلى الله أفضل العبادات.....
٤	الدعوة جهاد.....
٤	الدعوة نفعها متعدّد.....
٥	الدعوة مأمور بها بالكتاب والسنة.....
٥	تعريف الدعوة إلى الله.....
٥	لماذا فهم السلف الصالح؟.....
٦	سمات المنهج الدعوي السلفي.....
٦	١-الإخلاص في الدعوة.....
٧	٢- أن تكون الأولويات واضحة عند الداعية.....
٨	٣- الحرص على الاتباع وعدم الابتداع.....
٩	٤- الاعتناء في التربية بالعلم.....
٩	مسألة: العناية باللغة العربية.....
١٠	٥- الانضباط العلمي في تناول المسائل.....
١٠	المسألة الأولى: العلم.....
١٠	المسألة الثانية: الخلق.....
١١	المسألة الثالثة: المهارة.....
١١	٦- الجماعة ونبذ الفرقة.....
١٢	أولا الاجتماع في الدين.....
١٢	ثانيا الاجتماع على ولي الأمر المبايع.....
١٢	٧- الوسطية والاعتدال.....
١٣	٨- الاعتماد على النصوص الشرعية والقواعد المستمدة منها.....

- منها تقديم المصالح العامة على الخاصة ١٣
- منها قاعدة سد الذرائع ١٤
- ذريعة أجمع العلماء على عدم سدها ١٤
- ذريعة أجمع العلماء على سدها ١٤
- ذريعة أختلف فيها ١٤
- ٩- بث الفأل وعدم التشاؤم ١٥
- ١٠- الرد على الشبه في الدين ١٦
- ١١- سلامة الصدر والألسنة من الوقعة في أهل العلم ١٦
- الخاتمة، نسأل الله حسننها ١٧
- [الأسئلة] ١٧
- سؤال (١٠): سائل من الجزائر يقول: هل تعتبر المناهج الدعوية أصلا من أصول الدين، أم أنها تندرج تحت الفروع الشرعية التي يجوز الخلاف فيها ؟ ١٧
- سؤال (٢٠): ما هي الخطوات والوسائل المعينة في طلب العلم وهل تنصحون بكتب محددة في ذلك علما بأني مبتدئ في هذا الأمر؟ ١٨
- سؤال (٣٠): هل تنصحون بالتفرغ لطلب العلم فترة من الزمن تفرغا كليا، ثم بعد ذلك نجتمع بين طلب العلم وطلب الرزق بعد أن يؤصل المرء نفسه بالعلم الشرعي، وجزاكم الله خيرا؟ ١٩
- سؤال (٤٠): لا يخفى [التعميم] الصادر من وزارة الشؤون الإسلامية من التحذير من جماعة التبليغ وغيرها ولما امتثل الخطاب لذلك الخطباء وتحدثوا في الموضوع حصل نوع من الفجوة بين طلبة العلم وبعض المنتسبين إلى تلك الجماعة، هل يدخل في ذلك تغليب المصلحة على المفسدة عدم التحدث في هذا الموضوع؟ وجزاكم الله خيرا. ١٩
- سؤال (٥٠): بعض أصحاب الدعوات يقولون: إن الله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن. فيسعون إلى الحكم حتى يتم تغيير الناس ودعوتهم بالسلطان من خلال قوة الحكم فما توجيه معاليكم؟ ١٩
- تعليق معالي مفتي المملكة العربية السعودية سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ٢١
- الفهرس ٢٤

